خالد علي مصطفى

لعصيان

- ١ -

من ارتخاءِ البرقِ في خرائطِ المطرْ
من غيمةٍ مربوطةٍ بذيلِ أُفعوانْ
من شَفَةٍ تجوعُ من خصوبةِ اللِّسانْ
من جُثَّةٍ تستوردُ التّفّاحَ من عرائسِ الغَجَرْ
من ساحلٍ يَؤُمُّ شَعْباً من فراشاتٍ على سجّادة القَمَرْ
من موجةٍ تسيرُ في جنازةِ النَّخيلْ
من خرقةٍ ملصوقةٍ على شروخِ اللَّونِ في بحيرةِ الجليلْ
من عَتْبَةٍ تُزاحمُ السِّيقانَ في صناعةِ الطُّرُقْ
من جَسَدٍ مُرَقَّعٍ بالكهولِ والكحولِ والصّبايا
من دمعةٍ تُغادرُ السَّيفَ إلى الفنادقِ الرَّخيصَهْ
ومن يدٍ تسوقُ في الفنجانِ قُطعانَ الرُّؤى -
أُعيدُ نَظْمَ المسبحهْ،
أُعيدُ تجنيدَ الحصى في الأَبجديَّةِ العقيمْ،
أُعيدُ تأثيثَ المياهِ في التَّنُّورْ،
وأَستديرُ آبِقاً أمامَ أوجهِ المطفّفينْ،
أُحرقُ في أَفواهِهم ديكور مكتباتهم
وأَنزعُ الأَسنانَ بالجرحِ اليتيمْ

- ٢ -

يا أَيُّها الجرحُ الّذي يُلقي على مائدةِ القمارْ
أطفالَهُ، ويتركُ اللَّعِبْ؛
يا مَنْ يقصُّ من قِرْبَتِهِ سوطاً مُمَلَّحاً،
ويبدأُ العَدَّ إلى المئهْ.
السَّوطُ مِدْفأهْ
يُذيبُ إقطاعيّةَ الثّلوجِ عن ظهري،
ويأمرُ البحّارَ أنْ يصطاد لؤلُؤَهْ
من غابةٍ ملعونةٍ في قَفَصِ الصَّدْرِ.
يا أَيُّها اليتيمُ، يا جُرحي، انْتَخِبْني مَرَّةً أُخرى لِبرلمانِكَ الحرّ!

- ٣ -

أنا ابنُ أُمّي وأبي الوحيدْ
عَلَّمَني الخَشَبْ
أنْ أرشقَ البحرَ على السَّماءْ؛
أنْ أقرأَ السَّماءَ في منقارِ عصفورٍ نَزِقْ؛
أنْ أصعدَ البئرَ على الهواءْ
وتحت معطفي إلّهٌ يحترقْ
علَّمَني الخَشَبْ
أنْ أهبطَ القطارْ؛
أنْ أدخلَ المحارْ
وليس في الزّنبيلِ غيرُ الأرصفَهْ؛
أنْ أنقلَ السّيوفَ من قصيدةٍ عَبْسيَّةٍ
إلى فُتاتِ الأرغفَهْ؛
أنْ أصنعَ الأوتارَ من أثداءِ ناقةٍ ثموديّهْ
من دونِ أنْ أسيرَ في أزِقَّةِ المدينةِ المفقودَهْ.
- «ستسمعون، الآن، كيفَ تكسرُ الأنغامُ في (مارْش العبيدْ)
سُلَّمها، وتركبُ الزّلّاجةَ الجليديّهْ
إلى طيورِ الحبِّ في أكياسِ صاحبِ البريدْ!».

- ٤ -

أُرجوحةٌ تقذفني إلى مرايا السِّحْرِ؛

أُرخي قبضَتي
أمامَ وجهي؛ ثمَّ أجمعُ العطورَ من شقوقِ أقدامي،
وأنصبُ الفخوخ فيها.
من أينَ للعُشّاقِ أنْ يُهرِّبوا الأمشاطَ للنِّساءْ؟
لا ديكَ في الدِّماءْ،
والأختُ لم تَسْرَحْ بأغنامِ الإلَهْ ـ
(تلقَّنَتْ أنغامَ شيخوختِها عن سائحٍ،
وانْتَبَهَتْ للأرجلِ الّتي تَعَلَّقَتْ على الجِباه،
ثمَّ اختفتْ في كوخِها المائيِّ عن ضوءِ العسس؛
وغابتِ الأرضُ الحرامُ بين ثديَيْها...)

يزدحمُ الميدانُ بالقدور والأثافي،
يصطفقُ الفضاءُ بالسّوافي،
والنّاسُ حول النّارِ يسمعون كيف تزحفُ الغاباتْ،
ينتظرون أن تجيئَهم رِقاعٌ رَثَّةٌ
تسمحُ بالرِّهان، أو تسمحُ بالختانْ؛
ينتظرونَ موعدَ انتهاءِ قَطْفِ القُطْنِ في القطبِ الجنوبي؛
ينتظرون أنْ تطفرَ من إذاعةِ اللّيلِ إشاعةٌ حريريّهْ
تُغَلِّفُ الآذانَ بالحلوى وبالقِصَصْ!

وهكذا...
ينتظرون عودةَ الأختِ الّتي
ستولدُ الخيولُ من أثدائِها،
ومن بَراري شَعْرِها ستولدُ الكثبانْ...
وليس لي سوى الطّوافِ حول النّارِ والغناءِ في الميدانْ:

أغنية كنعان الأولىٰ

وَجْهي، أيا مِدْخَنةً من رُؤىً
أيُّ البيوتِ اقتَسَمَتْ مقتليكْ؟
تركتَ للكُهّانِ أقداسَهم
وَظَلَّتِ القيعانُ وَقْفاً عليكْ!

تدري بأنَّ المنتهى سالكٌ
وأنَّهُ لا ينتهي في يديكْ،
وأنَّهُ يعقرُ أبقارَهُ
ويعقدُ الآثارَ في أخمصيكْ؛
وأنَّ من فاءَ إليهِ القِرىٰ
تُشيرُ من بُعْدٍ عصاهُ إليكْ ـ
فكيفَ سَبَّحْتَ لأقْمارِهِ
ولم يزلْ ضيفاً غريباً لديكْ؟

سألتَ عنهُ العُشْبَ في دِمْنَةٍ
فجفَّ في الدِّمْنَةِ عشبُ السّؤالْ؛
وسرتَ في النّار إلى كهفِهِ
علَّك في الكَهْفِ تُوافي بِلالْ.
وحين لاحتْ سِدْرَةُ المنتهىٰ
وَحَلَّ في المشكاةِ رَبُّ الجبالْ،
وذاعَ في الأسواقِ أنَّ الضُّحىٰ
يجيءُ من بَيّارةِ البرتقالْ
أَطْلَقْتَ من رِدْنَيْكَ، عن شهْوَةٍ،
كلَّ غزالاتِ الرَّدىٰ والجَمالْ.
لكنَّهُ أَجْبَرَ قُبْطانَهُ
أنْ يحفرَ الموجَ بِخَصْفِ النِّعالْ.
أنْ ينقشَ الوحشَ بأَظفارِهِ
علىٰ مَرايا ساحةِ الاحْتِفالْ؛
فكيفَ عَرَّجْتَ على كهفِهِ
وكهفُهُ لم يَحْوِ غيرَ الظِّلالْ؟

وَجْهي، أيا مدخنةً من رُؤىً
عليكَ أنْ تقولَ ما لا يُقالْ...[1]

(١) النّشيد الأوّل من أثرٍ شعري طويل بعنوان كتاب كنعان المقدّس.

قصة

إنسان عادي

ديزي الأمير

أنا إنسانٌ عاديّ، قالها دون تردُّد، وهو يردّ على سؤالي عن اسمه.

أجبته بسرعة:

ـ ليس في الدّنيا إنسان عاديّ؛ كلُّ فردٍ مميَّز عن غيره في أشياء كثيرة.

كنتُ أعني ما أقول، ولكن كلامي لم يؤثّر في تواضعه فعاد يكرِّر:

ـ لا تسأليني عن اسمي. أنا إنسان عاديّ من هؤلاء الكثيرين الذين تلتقين بهم ولا تفكّرين بالتعرُّف إليهم.

أخجلني كلامه، وكان قد كال لي المديحَ عن كتاباتي التي يتتبّعها على حدِّ تعبيره، وأصرّ على أنّه إنسان عاديّ.

سألته: تصرُّ على ذلك؟

أجاب: وأصرّ على أنّك مميَّزة.

كنت في حاجة لمن يرفع معنويّاتي. وهو لم يكن في حاجة إلى هذا. فشكلُهُ وتصرُّفاته في مديريّة الجوازات وهو يعدّ جوازه للسّفر، ويدري أيّة غرفة يدخل، وأيّة أوراق يقدِّم... دليل على تميّزه. كانت طريقتي تدلُّ على ارتباكي، أنا التي لم أكن قد سافرت سنواتٍ أنستني كيفيّة التقدُّم بالطّلب ونوعَ الأوراق الثبوتيّة المطلوبة، وهو ما جعلني أسأل كلّ الغرف في المديريّة ومَن فيها.

وكنتُ كلّما ذهبتُ إلى المطار لاستقبال مسافرين أو لتوديعهم، أضيع في متاهات الأروقة، ولا أميِّز اتّجاهات الأسهم الصّاعدة والنّازلة. ولطالما وصلت إلى مكان الاستقبال بدل التّوديع، وصعدت سلالمَ كان يجب أن أهبطها، وأركض خوفاً من وصول الرّكّاب أو سفرهم دون أن ألتقيهم. فكيف وأنا المسافرة اليوم ولا أدري كيف أتّجه في مبنى مليء بغرف الموظّفين والمراجعين بعضهم مثلي يسأل